الاصطناع في منصات التواصل الاجتماعي من انهيار السياق إلى انهيار الواقع
Simulacra in social media platforms, from Context Collapse to Reality Collapse

عبد اللطيف موقار[1،*]، فضيلة تومي[2]
مخبر جودة البرامج في التربية الخاصة والتعليم المكيف
[2.1]جامعة قاصدي مرباح وررقلة (الجزائر)

تاريخ الاستلام : 2023-10-30؛ تاريخ المراجعة : 2024-03-13 ؛ تاريخ القبول : 2024-03-31

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معرفة الآلية التي تساهم بها السياقات المنهارة على منصات التواصل الاجتماعي في بناء الواقع المصطنع، وسعت لذلك عن طريق توضيح أن الممارسات التفاعلية على مستوى منصات التواصل الاجتماعي جعلت منها موردا جديدا للرموز اللغوية، والتي أصبح إنتاج المعنى فيها يحتكم إلى سياقات البيئة الرقمية، وهو ما أدى إلى عملية انهيار السياق تحت وطأة الحتمية التكنولوجية.

كما أدت الموارد اللغوية الرقمية إلى التوسيع السيميائي للمجال الدلالي، حيث أن إدراك الواقع أصبح مرهونا بتأويل المعاني المنتجة داخل مواقع التواصل الاجتماعي وهي نفسها مرهونة بعملية تفاوض بين المستخدمين، وذلك ما أدى إلى عملية انهيار الواقع لصالح واقع مصطنع أصبح هو الواقع.

الكلمات المفتاحية : الواقع المصطنع، انهيار السياق، انهيار الواقع.

Abstract:

This study aims to know the mechanism by which collapsing contexts on social media platforms contribute to the construction of the Simulacra, and has sought to do so by clarifying that interactive practices at the level of social media platforms have made it a new resource for language symbols. , in which the production of meaning has become invoked by the contexts of the digital environment.

which led to the process of context collapse under the weight of technological determinism. Digital linguistic resources have also led to the semiotic expansion of the semantic field, as the realization of reality has become dependent on the interpretation of meanings produced within social networking sites, themselves subject to a process of negotiation between users, which led to the process of reality collapse into Simulacra that became reality.

Keywords : Simulacra, Context Collapse, Reality Collapse.

I. مقدمة :

ساعدت منصات التواصل الاجتماعي في إتاحة ممارسات تواصلية وإعلامية جديدة استقطبت جموع المستخدمين وكانت مساهمة في خلق مجتمعات افتراضية موازية، وساعدها في ذلك التقدم التكنولوجي المتسارع والاستفادة من الخصائص التفاعلية على مستوى هذه المنصات والتي سمحت للمستخدمين بتفجير طاقاتهم وإبداعاتهم من خلال الأحداث التواصلية (المنشورات) التي ينشرونها على مستوى حساباتهم.

إلا أنه على عكس المتوقع فإن هذه المنصات وبرغم التحديثات المستمرة على تطبيقاتها فإنها في مرحلة معينة صرحت بأن المحتوى الأصلي المنشور من طرف المستخدمين والذي يتسم بطابع الخصوصية والسياقية الاجتماعية للأفراد، قد أصبح في حالة تراجع كبيرة وغلب على المنشورات طابع القياسية والتكرار وإعادة نشر المواضيع السابقة وهو ما أطلقت عليه منصة التواصل الاجتماعي فيسبوك مصطلح Context Collapse (انهيار السياق).

* عبد اللطيف موقار

ومن جهة أخرى فإنه وبرغم تراجع الدور الإبداعي والتجديد لدى المستخدمين فإن انضمام المستخدمين الجدد لا يزال مستمرا وكذلك قائمة أصدقاء كل مستخدم لا زالت في تزايد مستمر، إذن أن منصات التواصل الاجتماعي استطاعت أن تحقق المعادلة التي كانت وسائل الإعلام القديمة تسعى لتحقيقها في السابق، وهي الارتباط الدائم للجمهور وتعلقه بالوسيلة بالإضافة إلى ازدياد اعتماده عليها في حياته الاجتماعية وبقائه على إطلاع دائم بما يجري حوله لكن يظهر هنا تساؤل حول مدى مصداقية وواقعية ما تقدمه وسائل الإعلام بصفة عامة ومواقع التواصل الاجتماعي بصفة خاصة وهنا يجادل الفيلسوف الفرنسي Jean Baudrillard بأن وسائل الإعلام تعمل على تقديم واقع مصطنع يختلف عن الواقع الحقيقي ويكون ذلك بدرجات متفاوتة بداية من كون الواقع المقدم على وسائل الإعلام عبارة عن نسخة غير دقيقة، إلى إمكانية تطوره إلى صورة بدون نسخة مسبقة وهو ما يصفه بـ : Simulacra أو فوق الواقع، ولذلك سنحاول في هذه الورقة البحثية التعرف على كيفية مساهمة منصات التواصل الاجتماعي بسياقاتها المنهارة في بناء واقع اجتماعي نرصده من منظور Jean Baudrillard.

تحديد الإشكالية: وهو ما يحيلنا إلى التقصي في البحث عن إجابة التساؤل الجوهري التالي: **كيف تساهم السياقات المنهارة على منصات التواصل الاجتماعي في بناء الواقع المصطنع؟**

1- المجتمعات الافتراضية وآليات بروز ممارسات اتصالية جديدة:

من أهم الطفرات التي شهدتها الشبكة العالمية هي التقدم التقني في مجال منصات الواب من كونها صفحات ذات طبيعة برمجية ثابتة(Static Websites) غالى مواقع ذات طبيعة ديناميكية (Dynamic Websites) وهو ما أتاح سهولة برمجة واجهات سهلة الاستخدام للأفراد، وبذلك بدأ ظهور المنصات الرقمية الجاهزة أو ما يطلق عليه بأنظمة إدارة المحتوى (**Content Management System**) مثل المدونات والمنتديات وغيرها، وبالتالي صار المستخدمون غير المتقدمين أو المتخصصين في الجانب التقني يملكون إمكانية الإضافة والتحكم في مواقع وتطبيقات الواب، وهو ما تجسد فعليا في الانتشار الواسع للمنصات الرقمية والتي أصبحت تعد ملتقى للأفراد داخلها بهدف تبادل المعلومات فيما بينهم (محمد عبد الحميد, 2009, p. 145).

وفي هذا السياق لاقت العملية التواصلية والتبادلية بين الأفراد رواجا وقبولا كبيرا داخل هذه المنصات، وهو ما جعل منها غاية تستهدفها أنواع جديدة من المواقع، حيث أصبحت تركز على عملية التواصل في حد ذاتها بدل التركيز على المحتوى، بل أصبح المحتوى مرهونا بإرادة المستخدمين وتفاعلاتهم فيما بينهم، وهو ما بشر بظهور عصر جديد للمنصات الرقمية متمثلا في مواقع التواصل الاجتماعي والتي كان أهم بداياتها موقع فيسبوك (facebook)، الذي أتاح للأشخاص العاديين إبراز أنفسهم وتعزيز مكانتهم ضمن نطاق الموقع او عبر التواصل مع مواقع أخرى (خالد, 2013, p. 34).

كما سهلت إتاحة الاتصال بشبكات الانترنت وتوفرها فكرة الارتباط الشبه دائم للمستخدمين واستمرار التفاعل فيما بينهم، وهو ما ساهم في نقل أفكار وحوارات المستخدمين عن طريق ممارسات جديدة على مواقع التواصل، حيث أصبحت تجمعاتهم وتفاعلاتهم تعد محاكاة للممارسات التواصلية داخل المجتمعات الواقعية، وبالتالي ظهر لدينا مجتمعات افتراضية جديدة تعيش وتنمو وتتواصل داخل هذه المنصات، ومن هنا بدأت هذه المنصات في محاولة التميز أو التخصص عن بعضها البعض، وذلك عن طريق تبني سمات محددة تكون غالبة عليها وعلى مجتمعاتها الافتراضية وهو ما نلاحظه من اختلاف بين facebook, twitter, youtube, instagram, linkedin ، حيث أننا نجد منها من يختص بعرض مقاطع الفيديو ومنها من يعتمد على عرض الصور، كذلك نجد منها من يركز على المحتوى السياسي أو التعليمي، كما تلجا بعض المنصات إلى ترك طبيعة المحتوى أو موضوعات التفاعل مرهونة برغبة المستخدم.

2- المنصات الرقمية موارد جديدة للرموز اللغوية:

برغم الإمكانيات التقنية الهائلة التي أصبحت تحوزها منصات التواصل الاجتماعي إلا أنها ما زالت تعتمد في وجودها الجانب الإنساني حيث أنه ما زال يعد المحفز أو المسبب الأول في بداية عملية تجسيد حيز كبير جداً من الممارسات الرقمية، حيث أن الأفراد يتواصلون فيما بينهم عن طريق استخدام الموارد اللغوية المكتسبة من الواقع الاجتماعي في التعبير عن أحداث ارتبطت بسياقاتهم الشخصية وهم في هذه الحالة قلما يفشلون في إيصال المعنى للمتلقين بحكم أن قاموس المعاني في الواقع مبني على قاعدة أساسية مفادها وجود ارتباط بين الدال والمدلول أي بين الرمز اللغوي والمعنى المراد الوصول إليه.

فبالعودة إلى مفهوم اللغة فإننا نستطيع التعبير عنها بأنها عبارة عن نظام الاختلافات بين العلامات، حيث يمكننا أن نعتبر اللغة عبارة عن خزانة مشتركة، تحوي كل العلامات المختلفة الممكنة والتي نستخدمها في تركيب إحدى حالات الكلام، حيث يرى ***Ferdinand de Saussure*** أن العلامة تحدث دلالتها نتيجة لاختلافها عن العلامات الأخرى، وهذا الاختلاف هو الذي يولد إمكانية وجود مجتمع لغوي، ويقدم الشكل رقم (01) نموذج تمثيلي يوضح العلامات اللغوية المختلفة مجمعة داخل خزانة (بول & ليتسا, 2005, p. 20).

الشكل 1: نموذج تمثيلي يوضح العلامات اللغوية المختلفة مخزنة داخل خزانة.

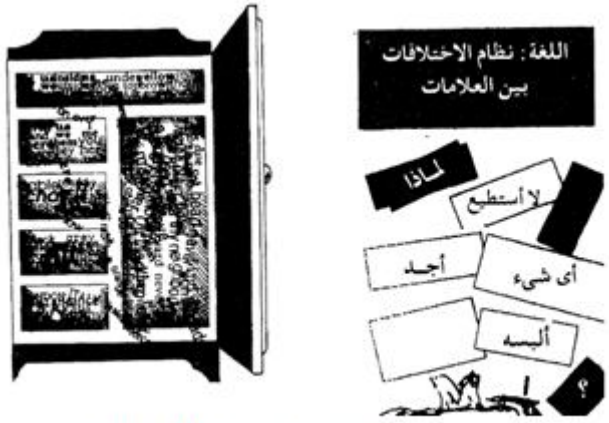

المصدر 1: (بول & ليتسا, 2005, p. 20).

إن العلامات في الخزانة اللغوية مستمدة من الواقع الاجتماعي للأفراد، وبإسقاطها على عصر التطور التكنولوجي والتواصل على مستوى منصات التواصل الاجتماعي فإننا نلاحظ أنها تزخر بكم يكاد يكون لا نهائي من العلامات اللغوية، بل إن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت هي الخزانة اللغوية بحد ذاتها، ذلك بحكم أنها انتقلت من وظيفة تخزين العلامات اللغوية إلى عملية توليد العلامات اللغوية، وهو ما يعيدنا إلى تعريف **Saussure** "إن اللغة إذا ما نظرنا إليها في كل جوانبها، كائن متعدد الألوان ومختلط العناصر: فهي على مفترق الطرق بين عدة ميادين، الفيزيائي والفيسيولوجي والنفسي، وهي تنتمي إلى المجال الفردي والى المجال الاجتماعي، وهي لا تقبل أن تصنف ضمن أي مقولة من الوقائع الإنسانية، لأننا لا نعرف كيف نستخرج وحداتها ".

ومن هنا نلاحظ بروز اللغة في المجال التقني وتمكنها من ربط المستخدمين واحتواء تفاعلاتهم، وهو ما أنتج لنا ممارسات اتصالية جديدة ارتبطت بهذه المنصات وامتلكت القدرة على جمع الجانب الإنساني بالجانب التقني، ومن هنا تضاعفت إمكانيات الأفراد في إنتاج وفهم مفردات هذا المستودع اللغوي الجديد(س. محمد & عبد السلام, 2005, p. 13)، وبالتالي أصبحت منصات التواصل تعد الخزانة الافتراضية لتجميع الرموز اللغوية بصورتها الجديدة، بالإضافة إلى

ظهور القدرة التوليدية الهائلة النابعة من الطابعة المفتوح للغة في المجال التقني أو اللغة الرقمية، وهنا امتزجت اللغة بالإيماءات والرموز والإيقونات التفاعلية التي زادت العملية الاتصالية وضوحا لدى المستخدمين.

3- ثنائية الدال والمدلول في علامات ومعاني منصات التواصل الاجتماعي:

إننا وبالعودة إلى تعريف **Saussure** للعلامة اللغوية بأنها "كيان ذو وجهين، احدهما هو الدال، والذي يعبر عن الجانب المادي من العلامة" وبالتالي فقد يكون تجسدها صوتيا أو مرئيا أو غيرها من إمكانيات التجسد، واحدى هذه الإمكانيات هي تجسد الرموز اللغوية على مستوى منصات التواصل الاجتماعي، أما الوجه الآخر فهو المدلول والذي يولده الدال ولا ينفصل عنه في أي علامة، يقول **Paul Cobley** "إن السبب الوحيد في أن الدال يولد المدلول، هو أن هناك علاقة عرفية فاعلة" (بول & ليتسا, 2005, 20-16 .pp)، و هو ما تجسده اليوم سياقات مواقع التواصل الاجتماعي إذ أنها وعن طريق خصائصها التقنية استطاعت أن ترسم حدود هذه العلاقة، ومن هنا أصبح العرف ينتج ويقولب داخل منصات التواصل الاجتماعي .

كذلك وبالعودة إلى **Cobley** نجد أن اللغة ليست مكتملة عند أي متحدث فهي توجد مكتملة وسط جماعة فقط (بول & ليتسا, 2005)، ومن هنا وجب على الأفراد عند التحدث التعبير بما يقتضيه عرف هذه الجماعة وكلما كبرت الجماعة زادت ضرورة الالتزام بهذا العرف، إذ انه يعد هو الضامن لوصول المعنى اللغوي، عن طريق تحديد كل احتماليات الفهم الناتجة عن السياقات الشخصية أو المرهونة بجماعات ضيقة، و ما نلاحظه داخل مواقع التواصل الاجتماعي أن عدد الجماعة أو الأصدقاء أو المتابعين صار كبيرا جدا ومقيدا الظهور بخصائص تقنية تابعة لمنصات التواصل الاجتماعي، والتي أصبحت تعمل وفق خوارزميات مهيكلة وفق الذكاء الاصطناعي(Santos, 2020, p. 587)، جعل الأفراد الناشرين على مستوى هذه المنصات ملزمون بالتخلي عن أعرافهم الضيقة عند عملية التعبير، وهو ما يحدث فعليا عندما نلاحظ تخليهم عن سياقاتهم الشخصية والاجتماعية لصالح سياقات منصات التواصل الاجتماعي وبالتالي قولبة منشوراتهم وفق الأعراف والسياقات الرقمية وهو ما يعبر عنه بانهيار السياق "Context Collapse" ، أي أن العلاقة العرفية التي تربط الدال بالمدلول أصبحت مرهونة بالسياقات و الأعراف الرقمية المتعارف عليها في المجتمعات الافتراضية.

فبالعودة إلى مخطط "Defleur & Ball Rokeach " والذي يوضح فيه العلاقة بين الواقع الاجتماعي والمعرفة والسلوك والنظام الاجتماعي انظر الشكل رقم (02)، فإننا نلاحظ بان الصور الذهنية عن الواقع تبنى حسب طبيعة الواقع الاجتماعي ثم تخضع إلى التفسيرات الذاتية للأفراد، والتي على أساسها تحدد السلوكيات الشخصية وكذلك يحدد النظام الاجتماعي.

الشكل 1: مخطط "ديفلير وروكيتش" يوضح فيه العلاقة بين الواقع الاجتماعي والمعرفة والسلوك والنظام الاجتماعي

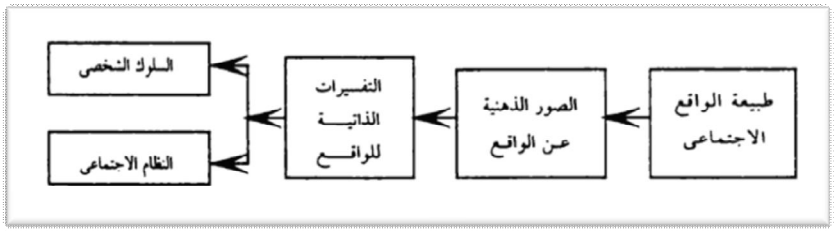

المصدر: (حسن & ليلى, 1998, 147 .p)

أن الاتفاق على المعاني هو عبارة عن مسالة فردية واجتماعية معا، ذلك أن المجتمع الذي نعيش فيه يعتمد على ما اتفقنا عليه مع بقية الأفراد حول المعاني المشتركة عن العالم الخارجي حولنا، من خلال عمليات التواصل فيما بينهم(حسن & ليلى, 1998, 147-146 .pp).

لكن في وسائل التواصل الاجتماعي ليس للعمل وجها لوجه نفس القيمة مع مواقع التواصل الاجتماعي لأننا لا نرى تعبيرات الذين نتواصل معهم وبالتالي تصعب عملية الاتفاق المشترك حول بناء المعنى، ولكن وفي نفس الوقت توفر

المنصات التقنية شروطا ومعايير تقنية يستند إليها المستخدمون لصياغة تفاعلاتهم، و يعبر عنها في مجملها بالسياقات التقنية وهي التي يحتكم إليها عند عملية التفاعل، لأن المرئيات والحسابات المستخدمة لتقييم الموقف قد اختفت وانهارت في تفاعلات وسائل التواصل الاجتماعي (Borkovich & Breese, 2016, p. 169) ، وبالتالي يحدث انهيار للسياقات الشخصية للأفراد لصالح السياق التقني وذلك لحاجة الأفراد إلى إنتاج معاني محددة تكون مفهومة لبقية المستخدمين وهي معاني تّولد وتحدد داخل السياقات التقنية.

إن تجمع المستخدمين داخل منصات التواصل الاجتماعي يكون من منطلق إدراك المسبق بإمكانيات وخصائص هذه التطبيقات وكذلك حدودها اللغوية والتقنية (Quiring, 2017, p. 2)،

وبالتالي يكون انضمامهم أو مشاركتهم في بيئة واحدة ذات خصائص مشتركة تنتج سياقا عاما يجمع المستخدمين، حيث أنهم يتصرفون في ظل وهم الاستقلالية وهم في الواقع يقومون بحركات تستند إلى نماذج تمت برمجتها مسبقا، تعمل على إعادة تشكيل الموارد اللغوية على نطاق واسع، حيث توفر لنا امتداد لا نهائي وغير منظم للوسائط المتعددة مثل (المشاركة والروابط الخارجية و النصوص التشعبية ...) وهو ما يساهم في توليد بيانات ضخمة تحمل أو تؤدي إلى تدفق متوالي غير منتظم للمعاني (Santos, 2020, pp. 587-589).

إذن، إن المستخدمين لمنصات التواصل الاجتماعي يقومون بمجموعة من الممارسات تعتمد على التجسيد الرقمي للعلامات اللغوية كأساس لها و كمورد لصنع المعنى (Androutsopoulos, 2014, p. 65)، وبحكم أن هذه الممارسات اللغوية يتم التعبير عنها في سياقات الوسائط الرقمية و التي تحوي داخلها مجموعة الأجهزة والتطبيقات والبرامج والممارسات المتعلقة بها، وعليه فإن مجموع المقاييس والموارد المتعلقة بهذه الوسائط تصبح سمات مهمة لفهم الإنتاج الدلالي والعروض اللغوية في الأزمنة المعاصرة (Santos, 2020, p. 589).

4- مفارقة السياق المشترك وضبابية المعنى:

يؤدي التباين اللغوي والاجتماعي والثقافي الناتج عن الاستخدام داخل منصات التواصل الاجتماعي إلى حدوث تحول جذري في نتائج التفاعل القائمة على الموارد اللغوية شديدة التنوع وما يترتب عن ذلك من تعقد للأشكال السيميائية (Santos, 2020, p. 590)، ذلك أن التواصل يرتكز على المعاني والتفسيرات، لكن دائما ما تتحدى السيميائية المساواة بين المحتوى والمعنى، وعليه فان الموارد اللغوية لا تكتفي بنقل المعاني فحسب، بل تشكل أيضا مساحة سيميائية تبنى فيها المعاني (Ghode, 2015, p. 3)، أن هذه الممارسات صات التواصل الاجتماعي تستخدم اللغة الأساسية للتفاعل الشبكي (نصوص أو إيموجي أو روابط تشعبية خارجية أو صور أو مقاطع فيديو .....) وهي مفتوحة من حيث المبدأ وتملك خاصية التفاوض الدائم حول المعنى من قبل المتفاعلين، أي أن عملية التفاوض قد تعدت الدال بعينه إلى العلاقة أو القانون الذي يربط الدال بالمدلول، وهو قانون صار خاضع لخوارزميات تقنية لمنصات التواصل الاجتماعي، ومنه نستطيع القول أن انهيار السياق يؤدي إلى زعزعة استقرار اللغة وأسلوب المفاوضات وانتشارها بين المستخدمين ويزيد من عدم القدرة على التنبؤ بالعلامات المنبثقة عن اللغة (Androutsopoulos, 2014, pp. 64-65).

وبالتالي فإن منصات التواصل الاجتماعي وعن طريق الخصائص والخيارات التقنية استطاعت أن تجعل العملية التفاعلية تعتمد على موارد لغوية ونصوص تكاد تكون غير محدودة، وبحكم أن العلاقة بين الدال والمدلول هي علاقة اللغة بالمعنى فإن التضخم على مستوى الموارد اللغوية صاحبه تضخم على مستوى المجال الدلالي للمعاني، فهو ما يخلق إشكال صعوبة التنبؤ بتطورات المسار اللغوي وكذلك صعوبة تأويل بعض النصوص الناتجة عن الممارسات التفاعلية أو على الأقل عدم الاتفاق على المعاني الموحدة لهذه الدلالات اللغوية، كما أن التحديث المستمر على مستوى منشورات الوسائط الرقمية أدى بالنصوص إلى معاني مختلفة تماما عما قصده صاحب المنشور لأن هذه الوسائط الرقمية تنتج تحديثا

متنوعا ومستمرا للعلامات، وهو ما ينتج عنه تحديث على مستوى القيم اللغوية لما قيل في بداية أي حدث تواصلي جديد (المنشور) (Santos, 2020, p. 592).

ومن هنا يظهر جليا أن انهيار السياق كان منطلقه الهدف التواصلي المشترك للمستخدمين، وهو ما يظهر مفارقة تواصلية بامتياز، حيث إن الهدف الذي يسعى إليه المستخدمين بانضمامهم إلى السياقات المنهارة هو صياغة رسائلهم في ظل معنى مشترك، ولكن بعد العملية التفاعلية نتجت لدينا معاني ضبابية خاضعة لتعددية التأويل السيميائي، والظاهر أن هذا التشويش لا يشكل إزعاجا للمستخدمين، إذ أنهم في حالة رضي اتجاه أي معنى منبثق خلال التفاعل مادام هذا المعنى خاضع لعملية التفاوض.

5- الحتمية التكنولوجية وقوالب السياق المنهار:

أصبح المستخدمين داخل مواقع التواصل الاجتماعي على ارتباط وثيق بالوسائل الرقمية أكثر من غيرها من وسائل الإعلام والاتصال السابقة، وبالتالي فإنهم يتعاملون مع البيئة المحيطة بهم وفق ما تقدمه هذه الوسائط وإن ادعى بعضهم موضوعيته في معالجة ما ينشر على مستواها او في قدرته على التملص من تأثيرها، ذلك أن "الوسيلة السائدة دائما ما تكون خارج إدراكنا" (Santos, 2020, p. 585).

وفي حالتنا هذه فإننا أمام بيئة رقمية شديدة التنوع تعمل كامتداد للعقل يتفاعل معها في صياغة المعاني وتأويلها وهو ما يحيلنا إلى ما يصفه ماكلوهان في نظرية الحتمية التكنولوجية بأن الوسيلة امتداد لحواس الإنسان، حيث أن الأفراد يستخدمون حواسهم في اكتساب المعارف والخبرات اللازمة والتي يؤهلهم للتعامل مع مجريات العالم الواقعي، لكن في حالة اندماج الوسيط مع الحواس فان البيانات المحصل عليها تكون هي بذاتها غير محايدة وبالتالي نقع في مشكلتين، الأولى هي عدم مصداقية البيانات المجمعة، والثانية هي عدم إدراكنا لذلك، وكل ذلك مرده إلى قدرة الوسيلة على الاندماج مع الحواس أو العمل كامتداد لها.

ومن هنا بدأ ظهور لحظة فارقة في حياة المستخدمين، حيث ان ارتباطهم الدائم بمنصات التواصل الاجتماعي بما تحمله من زخم معرفي غني وغير محدود، جعل هذه المنصات ترقى إلى مقام الحواس، وبالتالي فان معارف الأفراد حول المجريات والأحداث لم تعد تستمد من العالم الواقعي فعليا، وإنما من صور حول العالم الواقعي داخل منصات التواصل الاجتماعي، أي أن النصوص على مستوى منصات التواصل الاجتماعي تعمل على توليد بيانات ضخمة تنتج لنا تدفقات متوالية للمعنى وإن كان ذلك يظهر بصفة غير منتظمة.

فبالعودة إلى منظور **Ferdinand de Saussure** فان قيمة أي مصطلح يتم تحديدها وفقا لبيئته (Santos, 2020, p. 589)، فبالنظر إلى مجموع الاتاحات أو القيود التي توفرها هذه المنصات للممارسات اللغوية، أثبتت أن طبيعة هذه التطبيقات وتصميماتها ذات صلة بتحليل الممارسات اللغوية المعاصرة، ذلك إن منصات التواصل الاجتماعي تعد سياقا تواصليا وتفاعليا بامتياز (Santos, 2020, p. 584)، كما أن عملية التحليل تستلزم شمولية العناصر المشاركة في بناء تفاعلات الأفراد، لأنه وبرغم من كون هذه المنصات موارد تكنولوجية لكن المستخدمون عند تفاعلاتهم يعتمدون على الموارد الاجتماعية والثقافية في تنظيم أنشطتها (Szabla & Blommaert, 2020, p. 13)، بل أن الآمر يتعدى المنظور المركب إلى خيارات تقنية محددة ترسم المسارات التفاعلية وان كانت كثيرة ومتنوعة، وهي تعد السبب الأول في خلق تحول جذري في نتائج التفاعل والتي يترتب عنها تعقد في الأشكال السيميائية مقارنة بها في الموارد اللغوية في التفاعل المباشر.

و من وجهة نظر **Marshall McLuhan** بأن " الوسيلة هي الرسالة " فإننا هنا نملك وسيلة طبيعتها واحدة ولكن لغتها وموضوعاتها مختلفة ومتباينة تخضع لنفس البيئة التكنولوجية وهو ما يجعلها تحمل نفس الرسالة وهي البيئة التي يرتبطون بها (Santos, 2020, pp. 590-591)، ذلك ما فرض عملية انهيار سياق هذه المواضيع لصالح السياق التكنولوجي للوسيلة وبالتالي يعمل على دمج مجموعة من الإيديولوجيات في ايديولوجية واحدة.

ووفق قراءة في اتجاهات ***McLuhan*** اتجاه مواقع التواصل يبرز لدينا تساؤل عن القواعد النحوية لوسائل الإعلام الجديدة والتي تتوسط الممارسات اللغوية، وكمثال على ذلك موقع فيسبوك أو تويتر أو لينكدإن ...، حيث أن عملية الإعجاب أو المشاركة وغيرها من الخيارات التقنية هي عبارة عن خوارزميات تصف المحتوى الذي سيراه هذا المستخدم، بمعنى مدركات الأفراد لم تعد تستمد من الواقع مباشرة، وبالتالي فان أي انحراف في المادة المعرفية على مستوى مواقع التواصل ينتج عنه خلل إدراكي للمستخدم، حيث تختلف صورة الواقع الفعلي عن صورة الواقع على هذه المنصات، ولذلك يقول ماكلوهان "إن الوسيط ليس محايدا أو مجرد أداة أو جهاز إرسال للتواصل ولكنه تكوين له عواقب على الحياة الاجتماعية" (Santos, 2020, p. 586)، أي أننا من خلال الوسيط نعمل على تشكيل مدركاتنا حول العالم وبالتالي ما يقدمه لنا يعد موردا للتعرف على الواقع ولكن السؤال هنا ما هو مدى حقيقة هذا الواقع ؟

6- الواقع المصطنع وفق تصميمات رقمية جديدة:

كان لدى أفلاطون قناعة بان المعرفة الإنسانية تنمو على أساس الأفكار العامة حول الصفات الرئيسية لكل مجموعة من الأشياء التي يفكر فيها الإنسان، واعتقد أفلاطون أن الواقع نفسه يتكون من هذه الأفكار والتي قال بان تجسدها لا يشترط الطبيعة المادية الملموسة مثل: مثل الحجر أو الشجرة أو الحيوان، ولكن يمكنها أن تكون أشياء تجريدية مثل: المثلث أو العدالة أو الجمال (حسن & ليلى, 1998, p. 145).

وبالحديث عن هذه الأفكار والتي تعد الحواس سبب تحفيزها الأول فان مواقع التواصل الاجتماعي ونتيجة لارتباطها بالحواس لدى المستخدمين، أصبحت تعد مصدرا محركا ومولدا لتداعي الأفكار داخل أذهاننا، واستنادا إلى فكرة أفلاطون فإننا نصل إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي أصبحت احد أهم الموارد المساهمة في بناء الواقع بما توفره من بيانات ضخمة لا تستطيع أذهان الأفراد التعامل معها كلها، وعليه فان هذا الزخم العالي من المعلومات يفوق كمية المعاني المرتبطة بها والتي تساهم بصفة مباشرة في تشكيل أفكارنا، وهو ما يعيدنا إلى مقولة ***McLuhan*** "نحن نوجد في عالم يوجد فيه المزيد من المعلومات ومعنى أقل" (Borkovich & Breese, 2016, p. 168).

وبالتركيز على توضيح آلية تأثير محتويات هذه الوسائط الرقمية ننطلق من فكرة توضح انعكاس تأثير البنية المادية على أشكال التفاعل من منطق بسيط للغاية، بأن سطح الأرض يسمح بالوقوف عليها فإن ارتفاع نفس سطح الأرض يسمح بحركة الجلوس وبالتالي التصميمات المختلفة تحمل سلوكيات مختلفة (Santos, 2020, p. 588)، وبمعنى آخر أن التصميمات المختلفة تحمل معاني مختلفة تؤدي إلى سلوكات متباينة، وبإسقاط هذا المبدأ على الممارسات داخل منصات التواصل الاجتماعي فإن التدفقات التفاعلية تحمل زخما عاليا من تمثلات وصور متباينة تم تشكلها داخل هذا الفضاء الرقمي وبالتالي تختلف عن الواقع الأصلي، بل إن الأمر يتعدى ذلك إلى إنتاج عدة صور مصطنعة ترقى في بعض الأحيان إلى كونها صورا قائمة بحد ذاتها (Ahmed & Aslam, 2022, p. 1558) مشكلة واقعا مصطنعا أو فوق واقع بحكم أنها لا تملك أي ارتباط بدال أو علامة أو واقع محدد.

وبالتالي تعمل الموارد المختلفة داخل الوسائط الرقمية في ظل انهيار السياق على إنشاء سيل من المعاني يخلق لنا واقعا مصطنعاً يملك القدرة على التأثير في قيم واتجاهات المستخدمين وتوجيه سلوكاتهم، ولذلك فمن وجهة نظر فلسفية نجد أن انهيار السياق ارتبط بشكل أساسي بمفهوم المصطنع والاصطناع لدى Baudrillard Jean في كتابه " Simulacra and Simulation 1981" (Borkovich & Breese, 2016, p. 168)، أي أن السياقات المنهارة أنتجت لنا قصصا ووقائع تختلف عن الواقع.

7- من صراع واعتباطية التأويل إلى انهيار الواقع:

أن المنشورات الغريبة أو الخيالية أو المثالية أو غيرها ممن يختلف محتواها عما هو في الواقع صارت تلاقي رواجا وانتشارا واقبالا في التفاعل أكثر حتى من المواضيع التي تعد أقرب ارتباطا بالواقع، فعلى سبيل المثال ووفقا لتحليل BuzzFeed لبيانات فيسبوك في وقت الانتخابات من مشاركات وتعليقات وردود فعل ... كان المستخدمون يتفاعلون أكثر مع القصص المزيفة (Morris, 2021, p. 321)، ذلك أن وسائل الإعلام ونخص بالذكر منصات التواصل الاجتماعي تعمل على خلق واقع وهمي وصناعة صور ذهنية (احمد, 2019, p. 71).

وعليه فإننا عند تعاملنا مع منصات التواصل الاجتماعي يجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار التحقيق في الممارسات الدلالية في البيئة الرقمية من منطلق أن المحتويات والرموز والموارد الدلالية المعدلة تجاوزت الأصلي منها والمرتبطة بالعالم الواقعي (Santos, 2020, p. 597)، وهو ما يعيدنا إلى مقاربة Baudrillard والتي تقول بوجود مسافة بين الواقع ورموزه يحدث خلالها أن يتراجع الواقع وتمثلاته ليصبح فوق الواقع (جان, 2008, p. 26).

يبدو أن العلاقة العرفية التي تربط الدال بالمدلول على مستوى منصات التواصل الاجتماعي لم تكتفي بإعادة صياغة الأعراف اللغوية فقط وتوسيعها والتحكم فيها فقط بل أنها ذهبت إلى ابعد من ذلك حيث أنها أصبحت تمتلك القدرة على توليد مدلولات بدون علامات أولية (الدال) أو علامات أصلية، وبالتالي نستطيع القول أن الطبيعة الرقمية الجديدة للعلاقة التي تحكم الأعراف اللغوية على مستوى المنصات الرقمية استطاعت فصل العلاقة بين الدال والمدلول وأصبح بإمكانها إنتاج معاني جديدة ليس لها علامات أو منطلقات في الواقع، ذلك أن الفوق واقعية تعيش في الرموز مثل اللغة والصورة والخوارزميات إلى آخره ويميزها أنها تكسر العلاقة الثنائية بين الدال والمدلول لتبقي الرمز فقط بمعنى أن الرمز يعمل على إبعاد الواقع بل إننا نستطيع أن نقول أكثر من ذلك أن الرمز هو الواقع (جان, 2008, p. 27)، كما أن في فهم المعنى على مستوى هذه المنصات ينتج لنا صورا ووقائع متعددة وغير متوقعة لصنع المعنى وهذه الاحتمالات تكاد تكون غير قابلة للتنبؤ حيث تنتج لنا صورا تختلف عن الفكرة الأصلية منطلق العملية التواصلية وبالتالي ينتج لدينا واقع مصطنع يختلف عن الواقعي الحقيقي.

إن الواقع أو الحدث ليس معطى بل هو بناء نشكله بالتأويل ويأتينا من خلال الوسيط مما يعني انعدام الواقع الذي نحتكم إليه ولا يبقى غير الاختلاف وصراع التأويلات وبلغته الميديا نقول أن المواضيع المعنية بالتغطية الإعلامية ليست موضوعات معطيات بل مدركات يتم تشكيلها وإنتاجها وبثها بطريقة تأويلية لا وصفية، وبالتالي فإن عالم الميديا يتعامل مع تأويلات وتحديدا مع صراع التأويلات (عمراني, 2016, p. 395)، وينتج عن هذا الصراع صورا مزيفة غير واقعية تشكل لنا فوق الواقع ذلك أنها أخذت مرجعيتها من صور متوالدة عن بعضها، ناتجة عن موارد البيئة الرقمية وبالتالي فهي غير مرتبطة بالواقع وموارده التي تكاد تكون محدودة أمام موارد البيئة الرقمية، وهو أمر متعارف عليه من حيث أن علامة ما تثير سلسلة من التداعيات التي تصل إلى أن تكون شديدة البعد عن العلامة الأولى، وهو ما يوضحه الشكل رقم (02) والذي يعبر عن الإنتاجية غير المحدودة للعلامات (Unlimited Semiosis) (بول & ليتسا, 2005, p. 32).

الشكل 3: نموذج يوضح القدرة الإنتاجية غير المحدودة للعلامات (Unlimited Semiosis)

المصدر: (بول & ليتسا, 2005, p. 32)

ومن هذا المنطلق يجادل Baudrillard أن تقنيات الاتصال ولدت عالما إعلامي متواجدا بالتوازي مع الواقع مرت الوقائع من خلاله بعدة مراحل متتالية في تطورها إلى غاية تجسدها في منصات التواصل (Morris, 2021, p. 321)، بداية بكون الأحداث على منصات التواصل نسخة عن الواقع تتباين في تمثيلها له بين المطابقة والصورة الرديئة، وصولا لإنتاج صور وتمثلات ليس لها أصل في الواقع وهو ما عبر عنه Baudrillard بفوق الواقع، ومن هنا نستطيع القول بان الواقع بدا ينهار بالفعل، لان أفراد المجتمع أصبحوا يبنون تصوراتهم من خلال مواقع التواصل الاجتماعي (ع. ف. محمد, 2014, p. 99).

وهو ما يتفق مع ما قاله **Walter Lippmann** "أن الناس يتصرفون ليس على أساس ما يحدث أو ما قد وقع فعلا، ولكن على أساس ما يعتقدون انه الموقف الحقيقي" (حسن & ليلى, 1998, p. 155) والذي شكلوا تمثلاتهم حوله من منصات التواصل الاجتماعي، حتى أن هذه التمثلات ليست نفسها أو واضحة في صورة واحدة وإنما تشكلها في حد ذاته منوط بعملية التفاعل والتي يتم خلالها التفاوض بين المستخدمين، فينتج عنها معاني محددة تكون هي الركيزة لبناء صورة عن الواقع.

خلاصة:

ساهم التقدم التكنولوجي المتسارع في تحقيق قفزة نوعية في مجال التواصل بين الأفراد، وتعد منصات التواصل الاجتماعي وتطبيقاتها المختلفة خير دليل على ذلك، حيث ساهمت العملية التفاعلية على مستواها في خلق ممارسات اتصالية جديدة حولت استخدام اللغة من البيئة الواقعية إلى البيئة الافتراضية، وهو ما جعل منصات التواصل تصبح موارد جديدة للرموز اللغوية.

إن العلاقة التي تربط ثنائية الدال بالمدلول أصبحت تحتكم إلى السياقات الرقمية لعملية التواصل، وبالتالي أصبحت منصات التواصل الاجتماعي تمتلك القدرة على قولبتها واعادة إنتاجها، وهو ما جعل المستخدمون ملزمون بصياغة محتوياتهم وفق متطلباتها، مما تسبب بعملية انهيار السياق في سبيل القدرة على الوصول إلى المعنى المشترك لتفاعلاتهم، لكن الخصائص التقنية لمنصات التواصل الاجتماعي ساهمت في تضخيم الموارد اللغوية على مستواها وهو ما أدى إلى توسيع المجال الدلالي للمعاني وجعله مرهونا بعملية التفاوض بين المستخدمين للفصل في التأويلات السيميائية المتعددة لهذه الموارد.

كما استطاعت منصات التواصل الاجتماعي أن تحقق اندماجا مع حواس المستخدمين وأضحت تعمل كامتداد لها، وبالتالي فان مدركات الأفراد حول الواقع باتت مرهونة بالموارد الرقمية، فهي وإن كانت مواضيعها مختلفة فإن طبيعتها التقنية واحدة، وهو ما يحيلنا إلى منظور الحتمية التكنولوجية "Technological Determinism" بأن الوسيلة هي امتداد لحواس الإنسان وإنها هي ذاتها الرسالة.

كما يبدو أن التصميمات الرقمية الجديدة لم تكتفي بصياغة الأعراف اللغوية بين الدال والمدلول فحسب بل أنها أصبحت تنتج مدلولات بدون علامات أولية وذلك عن طريق كسر العلاقة بين الدال والمدلول، كما أنها وفي ظل انهيار السياق أنتجت لنا سيلا من المعاني التي يؤدي تأويلها إلى تشكيل الواقع، وبالتالي فان صراع التأويلات بين المستخدمين أنتج لنا صورا تختلف عن الواقع الأصلي وهو ما أدى إلى عملية انهيار الواقع لصالح "Simulacra" على حد قول "Baudrillard"، وعليه فإن منصات التواصل الاجتماعي أدت عن طريق سياقاتها المنهارة إلى انهيار الواقع وظهور فوق الواقع بفعل القدرة الإنتاجية الغير محدودة للعلامات والتي أنتجت لنا صورا متوالدة عن بعضها البعض، صارت بالنسبة للمستخدمين كافية للتعبير عن الواقع بل أصبحت هي الواقع.

- الإحالات والمراجع:

- Ahmed, T., & Aslam, M. (2022). Seeds of Simulations in Frankenstein or the Modern Prometheus by Mary Shelley. *11*(12.(
- Androutsopoulos, J. (2014). Languaging when contexts collapse: Audience design in social networking. *Discourse, Context & Media, 4*, 62-7.3
- Borkovich, D. J., & Breese, J. (2016). Social media implosion: Context collapse! *Issues in Information Systems, 17*(4), 167-177.
- Ghode, D. (2015). Understanding Facebook Popularity though it's Semiotic Analysis. *Pune. Retrieved from Academia*.
- Morris ,J. (2021). Simulacra in the age of social media: Baudrillard as the prophet of fake news. *Journal of Communication Inquiry, 45*(4), 319-336.
- Quiring, O. (2017). Interactivity. *The International Encyclopedia of Media Effects*, 1-13.
- Santos, V. V. V. d. (2 .(020Computational affordances, context collapses and other challenges to linguistic studies. *Trabalhos em Linguística Aplicada, 59*, 583-600.
- Szabla, M., & Blommaert, J. (2020). Does context really collapse in social media interaction? *Applied Linguistics Review, 11*(2), 251-279.

- احمد, ا. (2019). أيديولوجيا الإعلام الجديد والوعي الزائف، مقاربة في استراتيجيات الإقناع وصناعة الواقع. مجلة الدراسات الاعلامية(8), 64-79.
- بول, ك., & ليتسا, ج. (2005). علم العلامات (الطبعة الاولى ed.). شارع الجبلاية بالاوبرا-الجزيرة-القاهرة: المجلس الاعلى للثقافة.
- جان, ب. (2008). المصطنع والاصطناع (الطبعة الاولى ed.). الحمراء بيروت - لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- حسن, ع. م., & ليلى, ح. ا. (1998). الاتصال ونظرياته المعاصرة (الطبعة الاولى ed.): الدار المصرية اللبنانية.
- خالد, غ. ي. ا. (2013). ثورة الشبكات الاجتماعية (الطبعة الاولى ed.). الاردن: دار النفائس.
- عمراني, ا. (2016). الخطاب الإعلامي الجديد و أطروحة موت الواقع. نقد و تنوير(5), 387-400.
- محمد, س., & عبد السلام, ب. ا. (2005). اللغة (الطبعة الرابعة ed.): دار توبقال للنشر.
- محمد عبد الحميد. (2009). المدونات الإعلام البديل (الطبعة الأولى ed.). القاهرة: عالم الكتب.
- محمد, ع. ف. (2014). صناعة الواقع، الاعلام وضبط المجتمع (م. ا. الدولية Ed. الطبعة الاولى ed.). المملكة العربية السعودية - الرياض: مركز نماء للبحوث والدراسات.

كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA:

عبد اللطيف موقار، فضيلة تومي (2024 **الاصطناع في منصات التواصل الاجتماعي من انهيار السياق إلى انهيار الواقع**، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، المجلد 16(01)/ 2024، الجزائر : جامعة قاصدي مرباح ورقلة (ص.ص 189- 198)